مقابس من معجم الأدباء لياقوت

علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت

الأستاذ عبد الخالق عمر

المدرس بدار العلوم

المعروف بشميم الحلي ، أبو الحسن النحوي اللغوي الشاعر ، مات في ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة ، أخبرني به العماد بن الحدوس العدل ، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية . وهو من أصل الحلة المزيدية . قدم بغداد وبها تأدب ، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر ، وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة (وسنأتي على ذكره في المجلة في العدد المقبل لأنه من وادي شميم في صلفه)

قال مؤلف الكتاب : وكنت قد وردت إلى آمد في شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ ، فقصدت إلى مسجد الخضر ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً قضيف (١) الجسم في حجرة من المسجد ، وبين يديه جامدان مملوء كتباً من تصانيفه فحسب ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ، فأقبل علي وقال : من أين أنت ؟ قلت من بغداد . فهمس بي وأخذ يسائلني عنها وأخبره ، ثم قلت له : إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئاً ، فقال لي : وأي علم تحب ؟ قلت له : أحب علوم الأدب . فقال : إن تصانيفي في الأدب كثيرة ، وذلك أن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبوبوها ، وأما أنا فكل ماعندي من نتاج أفكاري ، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم . فمن ذلك أن أبا تمام جمع أشعار العرب في

(١) قضف : نحف فهو قضيف .

حماسته ، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري ، « ثم شنع (١) أبا تمام وشتمه » ، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر ، فعملت كتاب الخمريات من شعري ، لو عاش أبو نواس لاستحيا أن يذكر شعر نفسه لو سمعها ، ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خطب ابن نباتة فصنفت كتاب الخطب فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي ، وجعل يزري على المتقدمين ويصف ما يجهل الأوائل ويخاطبهم بالكلب ، فعجبت منه وقلت له : فأنشدني شيئاً مما قلت ، فابتدأ وقرأ على خطبة كتاب الخمريات ، فعلق بخاطري من الخطبة قوله : « ولما رأيت الحكمي قد أبدع ولم يدع لأحد من أتباعه مطمعاً ، وسلك في إنشاء سر الخمرة ما سلك ، آثرت أن أجعل لها نصيباً من عنايتي مع أنني علم الله لم ألمم بها بلثم ثغر مذ رضعت ثدي أم » ، أو كما قال . ثم أنشدني من هذا الكتاب :

امزج بمسبوك اللجين ذهبا حكته دموع عيني
لما نعى ناعي الفراق بين من أهوى وبيني
كانت(٢) ولم يقدر لشي ء قبلها إيجاب كون
وأحالها التحريم (٣) لما شبهت بدم الحسين
خفقت لنا شمسان من لألائها في الخافقين
وبدت لنا في كاسها من لونها في حلتين
فعجب هداك الله من كون اتفاق الضرتين
في ليله بدأ السرور بها يطالبنا بدين

(١) شنعه : قبحه وشتمه وفضحه .

(٢) أي حصلت في الوجود ولم يقدر بشيء من الموجودات وجوب وجوده إلا هي لأنها موجودة منذ وجد الانسان وسايرته في كل أدوار الحياة كأنها واجبة الوجود .

(٣) جعلها التحريم من المحال تناوله ، لأنها شبهت بدم الحسين وهو محرم سفكه ولعل المراد جعل شربها محالا

ومضى طليق الراح(١) من قد كان مغلول اليدين
ذى زينة الأحياء فى الد نيـــا وزينة كل زين

فاستحسنت ذلك ، فغضب وقال لى : ويلك ما عندك غير الاستحسان ؟ قلت له : فما أصنع يامولانا ؟ فقال لى : تصنع هكذا : ثم قام يرقص و يصفق إلى أن تعب ثم جلس وهو يقول : ما أصنع وقد ابتليت ببهائم لا يفرقون بين الدر والبعر ، والياقوت والحجر ، فاعتذرت إليه وسألته أن ينشدني شيئاً آخر ، فقال لى قد صنفت كتاباً فى التجنيس سميته أنيس الجليس فى التجنيس ، فى مدح صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول البستى ، فأنا أنشدك منه ، ثم أنشدنى لنفسه :

ليت من طول بالشـــام نواه وثوى (٢) به
جعل العود إلى الزو (٣) راء من بعض ثوابه (٤)
أترى يوطئنى الدهـــر ثرى مسبك ترابه
وأرى أى نور عينى موطئاً لى وترى به

ثم أنشدنى لنفسه فى وصف ساق :

قل لى فدتك النفس قل لى ماذا تريد إذاً بقتـــلى ؟
أأدرت خمراً فى كئوسـ ـك هذه أم سم صل (٥) ؟ ؟

وأنشدنى غير ذلك مما ضاع منى أصله ، ثم سألته عمن تقدم من العلماء فلم يحسن الثناء على أحد منهم ، فلما ذكرت له المعرى نهرنى وقال لى : ويلك ! كم تسيء الأدب بين يدى ، من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر فى مجلسى ؟ فقلت : يامولانا ما ارالك ترضى عن أحد ممن تقدم .

---

(١) جمع راحة ، يريد بطلاقة الراحة الكرم
(٢) ثوى : أقام
(٣) الزوراء : مدينة بغداد .
(٤) ثوابه : أى جزائه من المجازاة والاثابة
(٥) الصل : الحية .

فقال : كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضينى ؟ قلت : فما فيهم قط أحد جاء بما يرضيك ؟ فقال : لا أعلمه إلا أن يكون المتنبي فى مديحه خاصة ، وابن نباتة فى خطبه ، وابن الحريرى فى مقاماته؛ فهؤلاء لم يقصروا . قلت له يا مولانا قد عجبت إذ لم تصنف مقامات تدحض بها مقامات الحريرى ، فقال لى : يا بنى اعلم أن « الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل » عملت مقامات مرتين فلم ترضنى فغسلتها (١) وما أعلم أن الله خلقنى إلا لأظهر فضل ابن الحريرى ، ثم خلط فى الكلام وقال :

ليس فى الوجود إلا خالقان : فأحد فى السماء وأحد فى الأرض ، فالذى فى السماء هو الله ، والذى فى الأرض أنا ، ثم التفت إلى وقال : هذا كلام لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه ، أنا لا أقدر على خلق شىء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه ، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة ، فقلت له : أيا مولانا ؟ أنا رجل محدث وإن لم تكن فى المحدث جرامة مات بغصته ، وأحب أن أسأل مولانا عن شىء إن أذن ، فتبسم وقال : ما أراك تسأل إلا عن معضلة ، هات ما عندك . قلت : لم سميت بالشميم ؟ فشتمنى ثم ضحك وقال : اعلم إننى بقيت مدة من عمرى لا آكل فى تلك المدة إلا الطين فحسب قصداً لتنشيف الرطوبة وحدة الحنظ ، وكنت أبقى أياما لا يجيئنى الغائط ، فاذا جاء كان شبه البندقة من الطين وكنت آخذه وأقول لمن انبسط إليه شمه فانه لا رائحة له ، فكثر ذلك حتى لقبت به ، أرضيت يابن الفاعلة .

هذا آخر ما جرى بينى وبينه ، ثم أنشدت له من حماسته :

لا تسرحن الطرف فى بقر المها فصارع الآجال(٢) فى الآجال (٣)
كم نظرة أردت وما أخذت يد ال مصمى (٤) لمن قتلت أداة قتال

---

(١) أى أزلتها .
(٢) الآجال الأولى جمع أجل : غاية الوقت المعين فى الموت .
(٣) الآجال الثانيه جمع أجل وهو بقر الوحش .
(٤) أصمى الصيد : رماه فاصابه مكانه

سنحت وما سمحت بتسليم ، وإذ لال التحية فعلة المغتال
أضللت قلبي عندهن ورحت أن شده بذات الضال(١) مثل ضلالي
ألوى(٢) بألوية(٣) العقيق على الطلو ل(٤) مسائلا من لايجيب سؤالي

تربت (٥) يدى فى مقصدى من (٦) لا يدى (٧)
قودى (٨) وأولى (٩) لى بهـا أولى لى
يا قاتل الله الدمى (١٠) كم من دم
أجرين حـلا كان غـير حلال

وأنشدنى تقى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن أبى محمد المعروف بابن الحجاج من شرقى واسط قال : أنشدنى أبو الحسن على بن عنتر بن ثابت الحلوى المعروف بشميم وقد قلت : لا أراك تذم أحداً من أهل العصر فقال لى : ليس لأحد منهم عندى قيمة ، فانه لا يصلح للذم إلا من يصلح للمدح وأنشدنى :

قالوا نراك بكل فن عالمـا فعلام حظك من دناك(١١) خسيسُ ؟
فاجبتهم لا تعجبـوا وتفهموا كم ذاد نهزة(١٢) ليث خيس خيسُ (١٣)

---

(١) اسم شجر : أى لقد ضللت وضل ضلالى مبالغة .
(٢) أعرج وأعطف
(٣) جمع اللوى وهو ما استدق من الرمل .
(٤) جمع طلل : مادرس من آثار الديار .
(٥) يقال تربت يداه لا أصاب خيراً والجملة دعائية . قصد من لايدفع دية له
(٦) من مفعول قصدى أى فى قصدى من .
(٧) أى يدفع الدية .
(٨) أى قصاصى .
(٩) قيل فى قوله تعالى « أولى لك فأولى » أى قاربك الهلاك فهو يريد أحاط بى الهلاك
(١٠) الصورة من العاج والمراد بها الحسناوات من النساء .
(١١) الدنا : الدنيا .
(١٢) النهزة الفرصة .
(١٣) هو الشجر الملتف ، يريد أن ليث الخيس قد يذوده ويدفعه عن فرصته خيسه ، فعلمه الكثير وأدبه منعا عنه حظه من الدنيا

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال : اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زال يكون منهم ، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم : أدام الله أيامك . فالتفت وقال « إيش ، هؤلاء ؟ فاني أرى عمائم كباراً ظننتها على آدميين . فسكتوا ، فلما قاموا قال له آخر منهم : ياسيدى ادع لنا بشمل الجميع ، فغضب وقال : « إيش ، هؤلاء وكيف ، خلقهم الله ؟ ثم حلف بخالقه وقال : لو قدرت على خلقة مثل هؤلاء أنفت ، من خلق مثلهم . قال المؤلف :

حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو فى سنة خمس عشرة وستمائة ، فى ربيع الأول منها قال : لما ورد شميم الحلى إلى الموصل بلغنى نضله فقصدته لأقتبس من علومه ، فدخلت عليه فجرى أمرى على ما هو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحد ، وجرت خطوب ومذاكرات إلى إن قال : ومن العجائب استحسان الناس قول عمر ابن كلثوم .

مشعشعة كان الحص (١) فيها إذا ما الماء خالطها ضرينا

« كذا قال تهكماً ، الا قال كما قلت :

« وسالت نطاف (٢) الراح (٣) فى الراح (٤)

فاغتدى السماح إلى راحاتنا فسخينا »

ثم أخرج رقعة من تحت ، صلاة وقال لى مامعنى قولى « قلب شطر أعاديك خط من كفر أياديك » فقلت : أكتبها وأفسرها ؟ فقال : اكتب ، فكتبتها وقلت نعم : شطر « أعاديك » : « ديك » ، وقلبه » : « كيد » ، أردت أن الكيد خط من كفر أياديك ، فقال : أحسنت ، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم

(١) الحص : هو الورس أو الزعفران .

(٢) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر والجمع نطاف ونطف .

(٣) أى الخمر .

(٤) جمع راحة : وهى باطن الكف .

من إهماله إياى ، وأنشدنى أبو حامد المذكور قال : أنشدنى أبو الحسن على بن الحسن بن عنتر الحلى لنفسه :

أقبلى عثرة الشاكى أقبلى فسولى فى سماع نثه[1] رسولى
وان لم تأذنى بفكاك أسرى فدلينى على صبر جميـــل

حدثنى الآمدى الفقيه قال : بلغنى أنه لما قدم الحلى إلى الموصل انثال إليه الناس يزورونه ، وأراد نقيب الموصل ، وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لايخفى أمره على أحد ، زيارته فقيل له ، إنه لايعبأ باحد ولايقوم من مجلسه لزائر أبداً ، فجاءه رجل وعرفه مايجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك ، فلم يرد جواباً . وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من الاحتفال له ولم يقم عن مجلسه ، فجلس النقيب ساعة ثم انصرف مغضباً ، فعاتبه ذلك الرجل الذى كان أشار عليه باكرامه ، فلم يرد عليه جواباً . فلما كان من الغد جاءه وفى يد الحلى كسرة خبز يابسة وهو يعض من جانبها ويأكل ، فلما دخل الرجل عليه قال له : بسم الله[2] ، فقال له : وأى شىء هاهنا حتى آكل ؟ فقال له : بارقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأى معنى يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه .

حدثنى الفقيه قال : بلغنى أن الحلى قدم إلى اسمرت فتسامع به أهلها فتصدوه من كل فج ، وكان فيهم رجل شاعر فانشده الرجل شعراً استعاده الحلى فقال لقائله : إنى أرفع هـذا الشعر عن طبقتك ، فإن كنت فى دعواه صادقاً فقل فى معناه الآن شيئا آخر ، ففكر ساعة فقال .

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى بنظم قريض يقتضى لفظه معنى
ولم يبح الشرع المبين تيمما بترب وبحر الأرض فى ساعة معنا

فقال له الحلى : ويحك اسجد ، ويلك اسجد ، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر وأنا أعرف الناس بها .

---

(١) النثا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٢) يدعوه إلى الأكل .

ومما سمعته من فلق[١] فيه وهو من إنشاء خطبة له وهى :

الحمد لله فالق قم[٢] حب الحصيد بحسام سح السحب[٣] ، صابغ خد الأرض بقانى[٤] رشيق يانع العشب ، نافخ روح الحياة فى صور تصاويرها بسائح القراح[٥] العذب ، يحيى ميت الأرض بأماته كالح الجدب ، لا بتسام ثغر نسيم انفاح الخصب ، محيل[٦] جسم طبيعة الماء المبارك فى أشكال الحب والعنب والزيتون والقضب ، جاعله للأنام والأنعام ، ذات الحمل والحلب ، محلى[٧] جيد الأفلاك بقلائد دراري النجوم الشهب ، ومجلى[٨] جند الأملاك عن مباشرة التصرف والكسب ، وللقيام بالواجب واصل التسبيح والتقديس للرب . قابل التوبة من المذنب المنيب[٩] وغافر الذنب ، الواحد المنفرد بوحدانيته عن ملاءمة قسمة أعداد الحساب والضرب ، المستغنى بصمدانيته عن مسيس الحاجة إلى دواعى الأكل والشرب ، الشاهد على خلقه بما يفيضون فيه لا لا تصاف بعد ولا قرب ، المهيمن على سر اجتراح[١٠] كل جارحة وخاطر[١١] خاطر وتقلب[١٢]

---

(١) فلق (بالكسر وتفتح الفاء) أى : من شق فيه أى شاقهن به .
(٢) أى أعالى .
(٣) سح السحب : تهطالها .
(٤) أى كسا سطح الأرض بالأحمر الرشيق اليانع من العشب .
(٥) القراح : الصافى ، أى بث الحياة فى صورها ، والصور : البوق .
(٦) أى محول .
(٧) أى مزين من الحلية .
(٨) أى مبعد : أى أنه لا تصرف للملائكة فى الملكوت .
(٩) الراجع التائب .
(١٠) اجترح الاثم ارتكبه .
(١١) أى ما يخطر على النفس ، والخاطر : البال .
(١٢) أى تغير نزعاته .

قلب ، أحمده على ما منح من موضح بيان بما ألب(١) من سويداء لب ، وأشكره على ما جلا من مظلم ظلم جهل ، وكشف من كثيف ركام كرب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة سالمة من شوائب النفاق والخبث ، مؤمنة قائلها يوم الفزع الأكبر من إيحاش الرهب والرعب ، وأشهد أن محمداً عبده المجبوب بعقد حبا(٢) ، خاتم أنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب . وصفية المنتخب لنصر الدين وإقامة دعوة الاسلام بالبيض القضب والجرد القب (٣) والأسد الغلب (٤) ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما استحت الغزالة بأفق شرق وحجبت بغارب غرب ، صلاة يفنى تكرار عديدها صم الحصا الصلب ، ويبيد أربد الترب ، عباد الله . من اختلف عليه الآباد (٥) باد ؛ ومن تمكنت يد المنون من عنقه نقاد ؛ ومن تزود التقوى استفاد خير الزاد ؛ ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالاحماد (٦) ؛ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ؛ وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ؛ ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ، ، اللهم نول آمالنا مناها ؛ وكفل أعمالنا تقاها ؛ وخول(٧) أطماعنا رضاها ، ولاتشرب قلوبنا هوى دنياها ، فان المعاطب(٨) فى حبها ، وشين المعايب ضرر بها ، فلا تجعل اللهم مهامنا فيها المنى ، وآمناً بأمننا من كيد أمنا الدنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، أستغفرالله العظيم لى ولكم ولسائر

(١) أى جمع .

(٢) الحبا جمع حبوة . ما يعقد به الظهر مع الساقين فى الجلسة والمراد بذلك العظمة .

(٣) البيض القضب : السيوف ، والقب جمع قباء أو أقب ، والجرد جمع جرداء . أو أجرد : الخيل القصيرة الشعر .

(٤) الأسد الغلب : المراد بهم الشجعان أو الغلب صفة للأسد من غلب كفرح غلظت عنقه .

(٥) الآباد : الأزمان جمع أبد .

(٦) أى بالحمده والشكر جمع حمد .

(٧) خوله كذا : ملكه إياه .

(٨) أى المهالك .

المسلمين ، ولوالدي ولمن علمني(١) من لطائف شميم الهزلية أنه أنشد لنفسه شعرا وعدد حاضر من الناس فاستحسنوا ماقال فلم يعجبه ذلك وقال أكثر للحسن أن تفعلوا هكذا ؟ ونام على ظهره وصار يزحف حتى بلغ جدار المكان فرفع رجليه وظل يرفعهما حتى صارت رأسه أسفله كما يفعل اللاعبون .

كذلك مما حدثوا به عنه أنه سمع نائحات فى جنازة ميت فقال لمن حضره ليس مايقلن بشيء ، ثم صعد على مرتفع فى المكان وقال : قوموا وافعلوا مثلى وصار يلطم على وجهه وينوح والحاضرون يأنسون به ، ولله فى خلقه شئون .

عبد الخالق عمر

---

(١) لقد كنت نعيت على ابن حسول ثقل كتابه إلى الصاحب لما فيه من تركيب غث وتكاف سقيم ، ولكن خطبة شميم الحلى جاءت ضغثا على إبالة وهذا الكتاب فى ترجمة ابن حسول

تحيـــة عيـــد الجلوس

للشاعر عمر الله فرج الجمل
المدرس بمدرسة شبرا الثانوية

ما شئت من ملك وعز وشانْ السيف فى يمناك والصولجانْ
وأمـــة تصبو إلى مجدها تفتن فى ذكراه أى افتنان
رَامتك تقضى للعلا حقها فابلغ بها فيما تروم العنان
فى كل ميدان لهـا رَايةٌ خفاقة يهفو لهـا الخافقان
كلاكما فى عنفوان الصبا ومجد وادى النيل فى العنفوان
فابسط على الآفاق سلطانها واكتب لها النصر ونخر الرهان
ومد ظل الله فى أرضـــه بشرعة الحق ونهج القُرَانْ
تهيَّأ الملك وأســـبابه لعاهل النيل وآن الأوان

يا حامى الإسلام أنت الذى عز بمـا أوتيته المشرقان
طلعت والملك عقيم فمـا هرون فى الشرق ولا شارلمان،
والدهر لمـا أن ثنى عطفه ولج في طغيانه واستهان
راح على ما كان من أمره يلقى المعاذير ويرجو الأمان
وهذه الأيام من رسله وافتك تلقى فى يديك العنان
فاقبل من الدهر معاذيره ورد للأيام نعمى الحنان

ترى إذا جزت سبيل الحمى للقصر فالحراس والدَّيْدبان
وطفت بالإيوان يسبى النهى بما حوى من عَبْقَرى حسان
ولاح رب التاج فى عرشه عليه من نَسج التقى حلتان
والكوكب الدرى فى أفقه يَشِيعُ نوراً حول هذا المكان
وحف جبريل وأملاكه من حول رب العرش رأى العيان